

الفصل السابع

مبادئ التربية السوية .. وتدعيم الصحة النفسية لأطفالنا



تُشكل طرق تربية الطفل عاملاً مهماً في تعيين نوعية الشخصية ، من حيث تقبُّلها لمحيطها وارتباطها بمجتمع مُعيَّن ، لذا فإنَّ فهم طرق تربية الطفل يؤدي إلى فهم السلوك ودوافعه ، ويُجنِّبنا الصدام أو الصراع مع الطفل. إنَّ طرق التربية التي يتبعها الآباء والأمهات مع أطفالهم تؤثر تأثيراً مباشراً في نمو الشخصية ، ذلك لأنها ترتبط بحاجات الطفل الأساس ، وتأمين استمرار وجوده، وتمتعه بالاطمئنان العاطفي والسيولوجي من جهة ، وتجهيزه للانخراط والاندماج في محيطه من جهة ثانية .

وعلى هذه الصفحات سوف نستعرض أهم المبادئ والأسس التي يجب أن تقوم عليها تربيته تجاه أطفالنا حتى نحقق لهم تربية سوية تساعد في تدعيم صحتهم النفسية .

• المبدأ الأول : تربية تقوم على الثبات :

من المسلم به أنَّ نموَّ الطفل يأخذ في التحسُّن إذا كانت تربية الآباء تقوم على الثبات سواء في اتجاهاتهم نحوه ، أو في الأشياء التي يتوقعون منه أن يُنجزها . نعم ، هناك لكل فرد منَّا نواحي مزاجية مُعيَّنة ، نتدخل أحياناً في توجيه سلوكياته أو اتجاهاته ، ولكن الوالدين الحكيمين هما اللذان لا يسمحان لهذه النواحي المزاجية بالتأثير في اتجاهاتهما أو مشاعرهما تجاه الأطفال .

فليس من المفروض أن يتساءل الطفل عمَّا إذا كانت أعصاب أبيه هادئة أم متوترة ، أو كانت أمه سوف تُعامله مُعاملة تقيض رقة وعدوبة ، أم أنَّها ستعامله بقسوة وجفاء .

كما يحتاج الأطفال إلى الثبات أيضاً ، حين يتوقع منهم الآباء اتباع سلوك مُعيَّن ، فكل الأطفال - بلا استثناء - أمامهم أشياء كثيرة عليهم أن يتعلَّموها ، ففى مراحل نموهم المبكرة نجدهم لا يعرفون ما الصواب أو ما الخطأ ، كما أنَّهم لا يفهمون معنى أن يكون السلوك مقبولاً أو غير مقبول . وبالطبع ، فإن مثل هذه الأشياء سوف يتعلَّمونها أثناء عملية

النمو التي تتسم بالارتقائية والتتابعية ، عن طريق أوالدين ، فكل ما يُبنى عليه الوالدان هو بنظرهم الصواب ، وعلى ذلك فهم يتقبلونه دون مناقشة ، وكل ما يعترض عليه الوالدان يعتقدون أنه خطأ ، وعلى ذلك فإذا كانت سلوكيات الوالدين وتوجيهاتها مرتبكة أو غير ثابتة ، فإنه من المحتمل أن يجد الأطفال صعوبة في معرفة ما ينبغي أن يفعلوه على وجه الدقة .

نقطة أخرى جديرة بالملاحظة ونحن بصدد هذه الجزئية ، هو أن قبول هذه السلوكيات أو رفضها إنما يتوقف بدرجة كبيرة على نوع العلاقات السائدة بين الطفل ووالديه ، فإذا شعر الطفل أنه محبوب ومقبول ، فإنه من الأرجح أن يتقبل توجيهات والديه ، وأن يتعلم السلوكيات التي يحاولان تعليمه إياها ، أمّا إذا كانت العلاقة السائدة يشوبها القلق والتوتر ، فإنّ الطفل قد يرفض مثل هذه التوجيهات أو السلوكيات ، حتى وإن قبلها فإنه قد يتقبلها بدافع الخوف ، ولكنه لا يحاول أن يجعلها جزءاً من كيانه الذاتي .

عمومًا ، فإنّ الطفل الذي يشعر بالدفء نحو والديه ، يكون أكثر قدرة على مقاومة أنماط السلوك غير المرغوب فيها والتي قد يقابلها في البيئة مستقبلاً . على العكس من الطفل الذي لم تُشبع حاجته للحُبّ بطريقة كافية ، بحيث يشعر أنه خارج دائرة اهتمام الأسرة ، فيتحوّل في معظم الحالات نحو الآخرين للحصول على الرضا الذي يرنو إليه عن طريق الانتماء .

وعندما يقوم الوالدان بتعليم أبنائهما أنماط السلوك المرغوب فيها ، فإنهم يرون أنه من الضروري وضع قواعد وحدود لها . وهذه القواعد لا بدّ أن تتميز بمراعاة أعمار الأطفال ، والظروف الخاصة للأسرة . ولعلّ أهم شيء في ذلك ، هو الثبات في تطبيق هذه القواعد ، فإذا لم يُمنح الطفل مثلاً فرصة اللّعب في "الشارع" اليوم ، وجب ألا يُعطى هذه الفرصة في اليوم التالي ، لأنّ عدم الثبات في وضع الضوابط أو القواعد يؤدي لانزعاج الطفل وحيرته .

إنّ القواعد التي توضع يجب أن تكون موضع الاعتبار في بادئ الأمر ، فإذا صار الطفل واعياً بدرجة كافية أمكن له أن يُساعد في وضعها ، لأنّه - بطبيعة الحال - يفهم أسبابها ومقاصدها فهمًا جيدًا ، كما يجب ألا توضع هذه القواعد لمواقف قد تتغير كثيرًا لا

يمكن تنفيذها .

كما يُراعى أيضًا أنه كلما كبر الطفل كان من الواجب تغيير القواعد ، حتى يمكن إرضاء الحاجات والمواقف الجديدة المتطورة بتطور نموّه ، فقد يكون فناء المدرسة ملائمًا للعب بالنسبة لطفل في الثانية من عمره ، ولكن طفل الرابعة يكون قلقًا من اللعب في هذا الفناء ، لأنه يُريد اللعب بالدراجة ذات العجلات الثلاث مثلًا . كما يجب أن توضع القواعد والحدود بحيث تلائم نضج الطفل ، وألا يُضغط على الطفل لكي يُطبق مثل هذه القواعد. إنَّ قدرًا ملائمًا من الثبات والمرونة في وضع الضوابط والحدود يُعطى الأطفال شعورًا بالأمن ، هم في أمسّ الحاجة إليه .

• المبدأ الثاني : تربية تقوم على جوّ ديمقراطي حرّ :

ينبغي أن يسود جوّ أسرى مشيع بهواء الحرية ونسيم الديمقراطية ، ذلك حينما يتمكن الأطفال من التعبير عن أنفسهم وأفكارهم بدون خوف أو تردّد ، ولعلّى أذكر مقولة الأديب الكبير "مصطفى لطفى المنفلوطي" التي يقول فيها : "إنّ الحرية شمس يجب أن تُشرق من كل نفس .. ومن عاش محرومًا منها فقد عاش في ظلام حالك" .. وعلى ذلك فإنّه ينبغي لأطفالنا أن يشاركوا آباءهم وأمّهاتهم في اتخاذ القرارات المختلفة التي تخصّ الأسرة ككل ، كذلك في اتخاذ كافة القرارات التي تخصهم وتتعلّق بحياتهم ومستقبلهم . على أن يكون ذلك مرهونًا بمستوى تقدّمهم في النضج والنموّ . كما لا بدّ أن يعتاد الأطفال على حرية الاختيار ، لأنّ الإنسان ينمو بيولوجيًا وخبراتيًا بالاختيار الحرّ من بين خيارات كثيرة مطروحة أمامه . ليس هناك ما هو أجمل من الحرية في حياة الإنسان ، فها هو كاتبنا الكبير "توفيق الحكيم" يقول : "الحرية هي الهواء الضروري لسعة الصدر والعقل" ، كما يقول عنها الأديب العالمي "فولتير" : "لا وجود لوطن حرّ إلاّ بالمواطنين الأحرار" .

وإذا كانت هذه النظرة الإيجابية للحرية التي يختلف عليها أحدّ ، إلاّ أننا نرى ضرورة أن يتم تقنين الحرية التي تُعطى للأطفال والشباب على حدّ سواء، صحيح أنّ الحرية هي مبدأ لا يمكن له أن يتجزأ ، ولكن ما ينبغي أن نقوله هو أنّ الحرية التي تُمنح دون ضوابط تربوية وموضوعية قد تنقلب إلى نوع من أنواع التسيّب ، فليس من المعقول أن تُمنح

الطفل حرته في مزاوله أنشطة ترويحية مُعَيَّنة على حساب إهماله فيما يجب أن ينجزه من واجبات تحصيلية أو مدرسية . وليس معنى أن نُعطى الشباب حرته هي أن نتركه يُسيء اختيار أصدقائه من هذا المنطلق . لقد قال الأديب الساخر " جورج برناردشو " يوماً : " الحرية تستتبع المسؤولية " ، كما قالت " مدام رولان " مقولتها الشهيرة حول هذا المعنى : " أيتها الحرية : كم من الجرائم تُرتكب باسمك " .

• المبدأ الثالث : تربية تعويضية تهدف إلى المساواة :

نحن نؤمن بمبدأ الفروق الفردية بين الأفراد ، ومن هذا المنطلق نحن لا نقصد بالمساواة أن ينال كل طفل نفس الرعاية أو الأهتمام أو التعليم ، والأ تكون قد أغفلنا مبدأ الفروق الفردية في التربية . فالتعليم الذي يصلح لطفل لا يصلح لطفل آخر ، ورعاية الطفل المُعاق تختلف عن رعاية الطفل السوي كماً وكيفاً .. وهكذا ، ولكننا نقصد بالمساواة أن ينال كل طفل حقه الطبيعي في إشباع كافة حاجاته ، ومعاملتهم جميعاً بحنوٍ وحبٍ وقبول ، فلا تقيط في حقوق طفل على حساب الإفراط في منح الحقوق لطفل آخر . فلا ينبغي مثلاً توجيه كل الأهتمام للطفل المُعاق على حساب الطفل السوي بهذه الحجة ، كما لا يعني في المقابل أن نمح جهدنا تماماً غير منقوص للطفل السوي على حساب الطفل المُعاق، على اعتبار أنه لا فائدة كبيرة تُرجى منه . ومن هنا ينبغي أن تكون التربية تعويضية ، بمعنى أنه إذا كان الطفل السوي يحتاج منا جهداً تمثّل في ساعتين من الزمن للتحصيل المثالي ، لأعطينا الطفل المُعاق ضعف هذا الزمن حتى نحقق مبدأ المساواة في الكم والكيف معاً ، كلُّ حسب قدراته واستعداداته .

• المبدأ الرابع : تربية تقوم على احترام مبدأ الفروق الفردية :

في البداية نودُّ أن نقوم بتعريف الفروق الفردية Individual Differences فهي تعني التنوعات بالنسبة لكل من الصفات والمزايا العقلية أو الجسمية التي تتجلى لدى الأفراد ، وهي فروق بين أفراد ينتمون إلى جماعة واحدة ، تسير إلى التباين أو التفاوت بينهم على صعيد القدرات والاستجابات والقابليات العقلية ، وهذه الفروق تلعب دوراً مهماً في عمليات التعلم والتذكر والذكاء .

• تصنيف الفروق الفردية :

يمكننا تصنيف الفروق الفردية إلى ثلاثة أنواع مهمة ، هي :

1 - الفروق الجسميَّة والحركية :

وهي التي تبدو واضحة في حجم الجسم والوزن والشكل العام ، أو تناسب الأعضاء بعضها مع البعض الآخر ، ودقة الحواس وقوتها ، وبعض هذه الفروق لا تظهر إلا من خلال العمل والنشاط الذي يقوم به الفرد كالتدرة العضلية والمهارات اليدوية ، والسرعة والدقة في استخدام الأصابع .

2 - الفروق في القدرات العقلية :

وهي الفروق التي تُستخدم فيها الاختبارات والمقاييس لإدراكها والحكم عليها ، ويعتبر الكشف عن هذه الفروق وقياسها من أهم ما يعتمد عليه في توجيه الأطفال أو الناشئة إلى نوع الدراسة التي تتفق مع قدراتهم واستعداداتهم ، وكذلك في الكشف عن التلاميذ الضعاف ذوي القدرات العقلية المحدودة ، لعلاجهم واختيار طرق التدريب الملائمة لهم .

3 - الفروق الوجدانية والمزاجية :

وهي تتمثل فيما يمكن ملاحظته من سلوك الفرد ، مثل إقدامه على بعض الأنشطة المحببة إليه ، أو الإحجام عن بعض الأنشطة أو الأعمال غير المحببة إليه .

• خصائص الفروق الفردية :

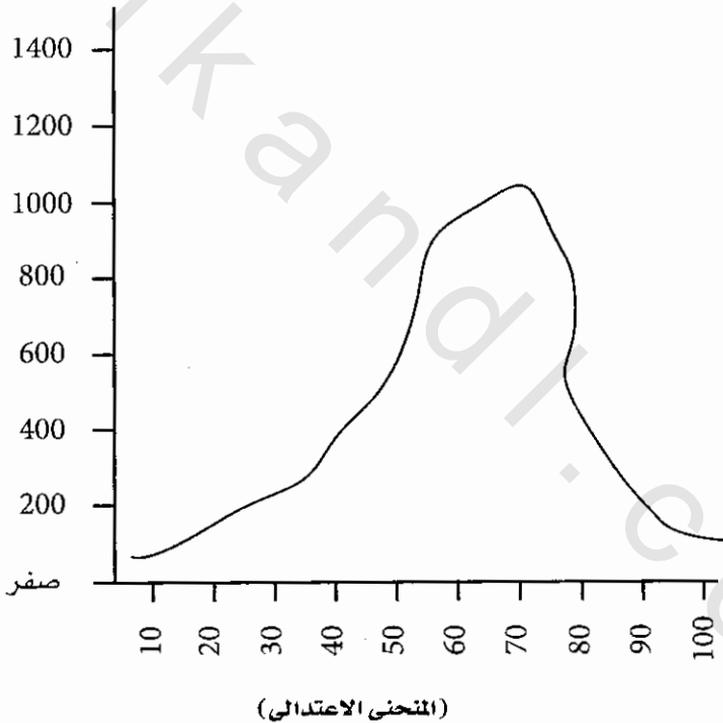
نستطيع أن نُحدِّد خصائص الفروق الفردية في النقاط التالية :

1 - كل فرد يمتلك قدرات عقلية ، وسمات وجدانية ، وصفات جسميَّة ، وخصائص حركية ، ولكن بمقادير مختلفة عن غيره من الأفراد . فكل فرد له طول مُعَيَّن ، ولكن هذا الطول يختلف من فرد لآخر . وكذلك .. فإن كل فرد يمتلك قسطاً مُعَيَّنًا من الذكاء والقدرات العقلية ، ولكنه يختلف في نسبة ما لديه من ذكاء عن غيره من الأفراد . وعلى ذلك فالفروق الفردية فروق في الكَمِّ لا الكيف ، أي في مقدار ما يملكه فرد ما من قدرة مُعَيَّنة بالنسبة إلى غيره من الأفراد ، وهذا الكَمِّ كما قلنا قابل للقياس .

2 - لا توجد علاقة تداخل أو ترابط كبيرة بين جميع القدرات والسمات الشخصية للفرد ،

فليس من الضروري أن يكون الفرد ممتازاً في ذكائه وممتازاً أيضاً في قدراته الخاصة وسماته الوجدانية ، بل إن ذلك يُعتبر مستحيلاً ، وعلى ذلك فلا توجد علاقة تلازم بين مختلف القدرات وسمات الشخصية في الفرد الواحد ، حتى أن الفرد الواحد تختلف نسبة ما عنده من ذكاء وقدرات خاصة وسمات شخصية . وفي ذلك يقول "الفريد بينيه" (1857 - 1911م) "إنَّ الطفل الواحد لا تتساوى فيه جميع القدرات" .

3 - القدرة العقلية العامة (الذكاء) والقدرة الخاصة والسمات الوجدانية والخصائص الجسمية إذا قيست عند مجموعة كبيرة من الأفراد فإنَّ نتائج القياس تأخذ صورة "المنحنى الاعتدالي" (المُبَيَّن في الرسم) ، فالأغلبية متوسطة فيما لديها من سمات نفسية ، بينما يمثل الضعاف والممتازين قلة .



• تفاوت القدرات الفردية :

1 - الجوانب المتعددة للقدرة الواحدة لا توجد في الفرد الواحد بنفس الدرجة ، بل توجد

بدرجات متفاوتة ، فقدرة التذكُّر تُشتمل على : تذكُّر الأشكال والألوان ، والأعداد أو الأرقام ، والألحان الموسيقية ، والعبارات والجمل ، والأماكن . وهذه الجوانب المتعددة للقدرة الواحده ، وهى التذكُّر لا توجد لدى الفرد الواحد بنسبة واحدة ، بل تختلف نسبة ما يملكه الفرد منها ، فهناك مَنْ يتذكَّر قوائم من أرقام مُتعددة كأرقام الهاتف ، ولكنه يجد صعوبة فى تذكُّر أبيات من الشعر مثلاً .

2- تميل الفروق داخل الأفراد إلى التناقص مع زيادة التدريب واستمراريته ، وإلى الزيادة مع التقدُّم فى العمر .

3- أظهرت نتائج الاختبارات فى هذا المجال أنَّه لا يوجد ارتباط كبير بين القدرات الخاصة كالقدرة الموسيقية أو الفنية أو الميكانيكية أو الحركية .. إلخ ، كما أنَّه لا يوجد ارتباط كبير بين هذه القدرات والذكاء العام . ومعنى ذلك أنَّ القدرة العالية فى مجال مُعَيَّن كالموسيقى مثلاً ، قد لا تصاحبها بالضرورة قدرة عالية فى مجالات أخرى .

لعلنا نكون قد أوضحنا أن احترام مبدأ الفروق الفردية أصبح الآن أمراً ضرورياً ومهماً فى التربية ، وعليه ينبغى عدم مقارنة الأطفال ببعضهم البعض ، وألاً نطالبهم بما هو أكبر من قدراتهم وطاقتهم ، كما أنَّه من الخطأ أن يحمل الأبوان صورة ذهنية مُتخيلة لما يجب أن يكون عليه لطفل ، سواء من ناحية مهاراته أو قدراته أو سلوكياته ، لأنَّ كل طفل يحمل خصائص وسمات ، مختلفة عما هو مُجرَّد تخيل أو تصوُّر .

• المبدأ الخامس : الرضا بالمستوى الواقعي لقدرات الأبناء :

أحياناً يتوقع الآباء أو الأمهات من أطفالهم تحقيق مستويات مُعيَّنة ، قد يكون أكبر من إمكاناتهم أو قدراتهم الحقيقية ، فإن حصلوا على درجات تحصيلية أقل من المتوقع مثلاً ، فإن الآباء يثورون وينهالون على أطفالهم باللوم والتقريع . إنَّ الأطفال - بطبيعة الحال - ييغون إرضاء والديهم ، ولذلك فهم يحاولون شحذ الهمم ، ويهيئون كل طاقاتهم لتحقيق آمانيات والديهم ، ولا يخلو هذا الأمر من خطورة على صحَّة الأطفال النفسية ، لأنَّ كابوس الخوف من الفشل يظلُّ يلازمهم تحسُّباً لتبذ الآباء أو لوم الأمهات .

إنَّ مطالبة الأطفال بتحقيق أهداف تفوق مستوياتهم أو قدرتهم الطبيعية لهو

الطريق المهد لإصابة هؤلاء الأطفال بالقلق والإحباط . ولذا نجد الأطفال الذين يُثقل كاهلهم بالمطالب عسيرة التحقيق ، يُعانون من الانزعاج والتوتر بصورة مستمرة ، كما أنهم يميلون إلى التقليل من قيمة إنجازاتهم ، إذ يعتقدون أنهم مهما أجادوا اليوم ، فقد يكون الفشل هو مصيرهم في اليوم التالي ، وذلك يُسبب إيذاءً لشاعر والديهم !!

نقطة أخرى جديرة بالملاحظة هي ضرورة عدم إشراك الأطفال في مشكلات الأسرة ، وبالأخص مشكلات الوالدين ، سيما إذا كانت هذه المشكلات تفوق قدرتهم على الإدراك أو الاستيعاب . في هذه الآونة بالذات يواجه الآباء والأمهات عديداً من التحديات والتهديدات والإحباطات ، وبناءً على ذلك فليس هناك أب يستطيع أن يكون مبتسماً طوال الوقت ، أو أمًا بشوشة على الدوام ، صحيح أن هناك أطفالاً أشداء تماماً ، يستطيعون التكيف مع الحالات المزاجية لآبائهم وأمهم ، ولكن ليس معنى ذلك أن يُجبروا أو يُكرهوا على أن يصبحوا شركاء في حمل التبعات الثقيلة ، أو المسئوليات الجسيمة .

وإذا كنا نؤكد أنه من حق الوالدين فرض قواعد سلوكية معينة تجاه أطفالهم بهدف توجيههم أو تهيئتهم ، فليس من حقهم فرض همومهم أو مشكلاتهم على أبنائهم ، لأنهم لا يستطيعون - بطبيعة الحال - حل مشكلات والديهم . كل المسموح لهم به في هذا الصدد ، هو أن نجعلهم يتمتعون بطفولتهم ، حتى وإن واجهوا مشكلات أو اختبارات حياتية معينة ، فلا بد أن تتوافق مع أعمارهم ، وتتمشى مع نموهم البيولوجي والسيكولوجي الخاص بهم .

• المبدأ السادس : التعامل بجديّة مع مشكلات الأطفال :

نود أن نؤكد أنّ ظهور المشكلات النفسية أو السلوكية بالنسبة للطفل ، تتبع بالدرجة الأولى من التوتّرات أو الصدمات المختلفة التي تنشأ بين الطفل والديه ، عندها لا يستجيب الطفل لمحاولاتهما التي ترمي إلى مساعدته ، بسبب هذه التوتّرات التي نشأت .

وتظهر - في الغالب - هذه المشكلات عن طريق إتيان الطفل بانماط سلوكية خاصة به : كأن ينطوى على ذاته فيبتعد عن الآخرين ويلوذ إلى العزلة والوحدة ، أو قد يُظهر قلقاً مُزمنًا يؤثر بالسلب على صحته النفسية أو الجسميّة ، فيمنعه ذلك من أن يعيش حياة سويّة ناجحة ، أو قد يجنح الطفل في تصرّفاته سواء مع الآخرين أو بدونهم ، أو قد يُعاني من

تعاسة شديدة ، أو قد يأتي بحركات قهرية لا إرادية ، أو قد يُعاني من مخاوف غير مقبولة (مخاوف مَرَضِيَّة) .. إلخ .

وعلى الآباء في البداية أن يدركوا أن هذه الأعراض المَرَضِيَّة تحدث تدريجياً ، ولا تحدث فجائية - كما يعتقد البعض - بحيث تصبح فيما بعد أنماطاً سلوكية متكررة وأكثر وضوحاً ، أى صارت أنماطاً سلوكية تعودها الطفل بدلاً من كونها أساليب عارضة . كما يتوجب عليهم أن يعرفوا - على وجه الدقة - الأسباب والدوافع التي أدت إلى حدوثها .

أمّا عندما لا يستجيب الطفل ، أو يفضل في تعلُّم أي شيء بنائي ، ويبيد عدم تكيف أو توافق تجاه بيئته التي يعيش بكنفها ، فعلى الآباء أن يبحثوا عن مساعدته بجدية ، وذلك بعرضه على أحد الإخصائيين النفسيين لتقديم المشورة .. وننبه الآباء والأمهات إلى أن العلاج النفسي قد يحتاج إلى وقت طويل وجهد وصبر ، والطفل الذي يُعاني مشكلات نفسية أو عقلية أو سلوكية مزمنة ، فإنه يحتاج إلى رعاية خاصة ، وإلى تعاون شديد ، وتفهم عميق .

• المبدأ السابع : تربية تتقبل عجز الأبناء :

قد يضع الأبوان صورة متخيلة عن طفلهما الذي ينتظران ميلاده ، فإذا وُجد على غير ما كانا يتصوران ، فإنهما يُصدمان ! نوّكد أن قبول الأبوين للطفل كما هو بعيوبه وميزاته ، بسليباته وإيجابياته يمكنهما من أن يُساعداه على النمو بنجاح وسوية ، عندما لا يحاولان تغييره إلى نوع الطفل الذي يتصورانه قبل مجيئه ، أو يجعلانه مثل إخوته أو اخواته ، أو مثل أطفال الآخرين من الجيران أو الأصدقاء . إنهما بهذا يساعداه على النمو حسب سرعته الخاصة ، وبطريقته الخاصة أيضاً ، ونتيجة لذلك يكون الطفل قادراً على إنماء الثقة بنفسه ، لأن هذه الثقة ضرورية لتعلُّمه القدرة على المبادرة واتخاذ القرارات أثناء مراحل نموه .

وقد يولد طفل مُصاباً بتشوه ما ، أو عاهة مُعيّنة ، عندها ينبغي تقبله بكل ثبات وشجاعة ، مع تقديم ما يحتاجه من حُبّ ورعاية ، ولنتيقن أن هناك ما يُسمى بإثراء القدرة النفسية ، أو إثراء الشجاعة الإنسانية ، فأحياناً نرى أن الأب أو الأم قد يستبدلان عجز طفلهم المُعاق في الإتيان بسلوك ما ، أو عجزه عن عمل ما ، بأن يستنهضوا قواه الداخلية

للقيام بهذا السلوك أو أداء هذا العمل ، بل قد تمتد مساعدتهما إلى أبعد من ذلك ، فقد يمدانه بقوة نفسية هائلة ، لا على احتمال العجز أو تعويضه بقدرة تعويضية لمجرد التوافق والمسايرة والاندماج في الجماعة ، ويجعلان العائق سُلماً للترقي والعلو ، عندها نقول إنَّ الأجهزة النفسية قد تكاملت ، لأنَّه قد يعترى بعض العمليات النفسية نوع من الذبول أو الضمور ، عندئذ تتكامل الأجهزة النفسية أو العمليات النفسية القوية في أخذ وظائف تلك التي أصابها العطب أو التي توقفت .

• المبدأ الثامن : تربية تؤمن بمبدأ الفطام النفسي :

يقصد بالفطام النفسي : الاستقلال الوجداني عن الآخرين ، وأن تكون المشاعر أو العواطف غير الخاضعة لعواطف الآخرين أو أسيرة لها . وعلى هذا يجب أن تتدرج العلاقة بين الأطفال وبين والديهم - خاصة الأم - من حالة الاندماج الوجداني أو الذويان العاطفي إلى حالة الفطام الوجداني أو العاطفي ، والاستقلال عن الأسرة مع استمرار علاقة الحب المتبادلة بدرجة معقولة ومتوازية لا سيطرة فيها ولا خضوع .

وكثيراً ما نرى أن بعض الآباء أو الأمهات يستمرون في التعلق الشديد بأولادهم حتى حينما يكبرون ويتزوجون ، عندها نقول إنَّ هؤلاء الآباء والأمهات لا يستطيعون الارتفاع إلى مستوى الفطام النفسي ، لتظل الحالة الاندماجية العاطفية قائمة ومستمرة حتى بعد زواج الأبناء !! ولعلَّ هناك بعض المظاهر التي يقوم بها الآباء والأمهات تدل على نقص "الفطام النفسي" بالنسبة لعلاقتهم مع أبنائهم ، فترى أن الوالدين قد يتدخلان في تفاصيل حياة أبنائهم تدخلاً مغالى فيه . وأحياناً يكون عن طريق إغداق المال على الأبناء بالرغم من عدم حاجتهم لهذه الأموال ، أمّا إذا كان الوالدان غير ميسوري الحال ، فإنَّهم يتطلعون إلى أبنائهم كي يقدقوا عليهم بالأموال ، على الرغم من وفاء الأبناء بمنحهم ما يحتاجون إليه من أموال على سبيل الواجب والعرفان بالجميل !!

وقد يكون هناك نقص في "الفطام النفسي" عند الأبناء تجاه والديهم ، فتكون من نتائجها أذية أو ديمومة التعلق بالوالدين ، وعدم القدرة على الاستقلال ، لتصبح أولى النتائج السيئة أن الأبناء لا يستطيعون إقامة علاقات عاطفية مع الآخرين (أو الأخريات) لإتمام عملية الزواج ، وقد تظهر خطورة أخرى لهذا التعلق المغالى فيه

من جانب الأبناء إلى الآباء ، أن الأبناء قد يُصابون بعجز جنسى ذلك لأنَّ شبح الأم أو الأب مازال يُخيم على الأولاد (أو البنات) أثناء إقامة أية علاقة جنسية مع زوجاتهم (أو أزواجهن) .

علاوة على ذلك ، فإنَّ التعلُّق الوجداني الشديد بالأب أو الأمَّ يُعيق الأبناء عن استقلالهم الذهني أو الإرادي ، فلا يستطيعون أن تكون لهم آراء مستقلة ، أو تتبلور لهم عواطف وأحاسيس مستقلة وقائمة بذاتها .

لذلك ، فإنَّ من واجب الآباء والأمهات أن يُعلموا أبناءهم في ضوء الخصائص النفسية التي تتسم بها كل مرحلة من مراحل نموهم ، فإنَّ هذا التعلُّق يجب أن يخفَّض كلاً نما الطفل وكبير ، وانتقل إلى مرحلة عُمرية جديدة ، على أن يؤمن الوالدان بأنَّ التعلُّق الشديد بأبنائهم لا يدل على الحُبِّ ، فالحُبُّ ليس أنانية واستثنائاً وامتلاكاً ، فلنعطهم الزَّاد النفسى الذى يُعينهم على الحياة ، ولكن بلا أنانية .

• المبدأ التاسع : تربية تمنح الأبناء فرصة التعبير عن مشاعرهم :

يستطيع الآباء والأمهات في إطار التربية الصحيحة أن يتذكروا دائماً أن الأطفال لا ينمون بسهولة ، حتى مع وجود أفضل وسائل التوجيه والإرشاد اليومي ، فإنَّهم قد يتعرضون للمشكلات ، أو قد يقعون فريسة للملل والضيق ، ولذلك هم يحتاجون للشعور بأنَّهم يستطيعون أن يبوحوا لوالديهم بمكنوناتهم من مشاعر وأفكار ، فإذا لم تتح لمشاعرهم أو آلامهم فرصة التعبير ، فإنَّهم قد يشعرون بالمرارة . وقد يؤدي هذا إلى تكوين أنماط سلوكية غير مرغوب فيها ، فالانزواء والانطواء ، أو المشاكسة والعدوان ، أو الآلام الجسدية كالصداع وآلام المعدة ، ما هى إلا جزء من وسائل عديدة وكثيرة ، عن طريقها تجد الآلام أو المشاعر الغاضبة المكبوتة طريقها إلى السطح .. أطفالنا يحتاجون دائماً إلى الشعور بالارتياح الذى يتأتى من إمكانهم التعبير - بصراحة ووضوح - عن مشاعرهم ، كذلك يحتاجون إلى الشعور بالأمن الذى ينجم من السماح لهم بالتنقيس عندما تكون هناك ضغوط شديدة .

• المبدأ العاشر : تربية تقدِّم النموذج الطيب والمثل الأعلى :

فى مُحيط الأسرة يتعلَّم الطفل كيف لا يكون أنانياً ، أى يتعلم كيف يحترم حقوق

الغير ، وكيف يتلاءم مع غيره من أفراد الأسرة ، كما أنه يكونُ بعض الاتجاهات بطريقة لا شعورية ، لذا يجب أن يسلك الوالدان أمام الطفل سلوكًا سويًا ، لأنَّ الطفل يلاحظ سلوكهم واستجاباتهم للمواقف المختلفة ثم يتقمصها ويتشربها .

والطفل عن طريق القدوة الصالحة والمثل الأعلى ، يستطيع الارتضاع بوظائفه النفسية إلى التكامل الأعلى والأسمى ، فهناك طفل تعرّضت حياته للتهديد ، كما تعرّضت عناصر شخصيته للتناظر والصراع نتيجة معيشته في جوٍّ أسرى مفكك ومتنافر ومضطرب ، ثم سمحت له الظروف أن يُقيم في وسط أسرى آخر ، فيه عنصر حانٍ لمربية أطفال ، تتمتع بقدر من التماسك والتكامل والنزاهة والصدق والحبِّ . وبعد حديث طويل من الجانبين (المربية والطفل) وُجد أن الطفل قد حقق التكامل والانسجام ، فامتلات شخصيته بالحوية والتدفق والصحة النفسية .

• المبدأ العاشر : التدخل - عند الضرورة - في انتقاء الأصدقاء :

لا بدّ للأسرة أن تتدخل من أجل انتقاء الأصدقاء ، وأن تُرشد أبناءها ، لا بد أن تفرض عليهم أصدقاء بعينهم ، فإذا رأى الآباء أن أطفالهم ينخرطون في علاقات سيئة وجب التدخل بكل حزم لمنع أبنائهم من الاختلاط بهؤلاء ، مع شرح وتفسير ذلك . والواقع أن هذا يتطلب أيضًا أن يضرب الآباء المثل والقدوة بهذا الخصوص ، فلا يجب أن تختلط الأم مثلاً بجارة سيئة السمعة والسلوك ، وكذلك الأب لا يجب أن يُخالط أصدقاء يحتسون الخمر أو يدمنون المخدرات ، أو يلعبون الميسر ، حتى لا تكون أقوالنا متناقضة مع أفعالنا .

• المبدأ الثاني عشر : ضرورة التعاون بين الأسرة والبيئة :

تحاول الأسرة أن تُهيئ لطفلها جوًّا يسوده الحبّ والدفء والوفاق والتعاون ، وذلك حتى ينمو نموًّا سليمًا خاليًا من الصراعات أو العقْد النفسية أو التوتر أو القلق . وبالرغم من ذلك ، فإنّ الأبوين ليسا وحدهما المسئولين عندما تسير تربية الطفل سيرًا مُعاكسًا أو خاطئًا . ومع أنّ نموّ الطفل يتأثر أولاً وبشكل قوى بمنزله ، إلا أنّ الطفل المتكيف تكيفًا كافيًا قد تتعرّض شخصيته لبعض الصعوبات التي تعوق نموّه في نقطة ما ، إذا كانت النواحي الأخرى من بيئته غير ملائمة ، فالطفل السعيد الهانئ قد يُصبح تغيّسًا وحرزينا إذا وجد

نفسه يقطن في حي جديد لا يتلاءم معه . والطفل الذى أتى بنتائج ممتازة مع مُعلِّمة حانية ومُحِبَّة ومتفهمة ، قد يصبح قلقًا أو مثبِّط الهمّة أو واهن العزيمة إذا وجد نفسه مع مُعلِّمة أخرى قاسية وضجرة ومتعجّلة .

وعلى ذلك نقول .. إذا كانت البيئة التى ينشأ فيها الطفل لا تزوده بأفضل طرق النموّ السوي والصحيح ، فإن كثيرًا من مجهودات الوالدين قد تصبح أقلّ فائدة بسبب تلك المؤثرات والمُثل التى يراها الطفل باستمرار ، أو شعر بها من حوله . نخلص من ذلك إلى أن البيئة لا يمكن التحكُّم فيها عن طريق الوالدين وحدهما ، أو حصرها فى مُحيط الأسرة الضيق .

ومصادر البيئة جميعها ضرورية عن طريق المجهودات التعاونية ، فالآباء والأمهات ، وإن كانوا يتحملون فعلاً المسئولية العظمى للإرشاد اليومي لأبنائهم ، إلا أنهم يحتاجون إلى مساعدة مؤسسات عديدة فى البيئة لضمان نجاحهم التام كالمدرسة ، ومراكز الشباب ، وقصور الثقافة ، ودور العبادة ، والإدارات التعليمية ، والمجالس المحلية ، والجيران أيضًا .

عمومًا نوّكد فى الختام .. أن جميع الأطفال يمرون بخبرات قد لا تجلب السعادة لأبائهم وأمهاتهم ، ولكن إذا استطاعوا أن يُقيموا بيتًا ثابتًا ودافئًا ، بحيث يُتاح لأطفالهم منذ نشأتهم الأولى الفرص لإنماء توازن عاطفى جيد ، فإن الأطفال يستطيعون مقاومة ضغوط البيئة مهما كانت ، بقوة تفوق مقاومة الأبناء الذين لم تتح لهم فرصة النموّ فى بيت به فهم وتقبُّل .

